الأسارى بحيث عمّ الجرح والأسر ونهب المسلمون من أموالهم وذخائرهم ما لا يحصى والتجأ الفرنسيس إلى المنية المجاورة لدمياط في بعض من معه واستسلموا للقتل وسألوا الأمان فأمنهم السلطان المعظم ونزلوا من المنية على الأمان فسيقوا إلى المنصورة وقيد ريدافرنس واعتقل بالدار التي كان بها القاضي فخر الدين بن لقمان كاتب الإنشاء ووكل به الطواشي صبيح واعتقل معه أخوه وزوجته ومن بقي معه من أصحابه ولما انهزم الفرنسيس سقطت قلنسوته من رأسه وهم يسمونها غفارية وكانت من قطيفة بغير سنجاب فأخذها الأمير جمال الدين بن يغمور فلبسها فقال الشيخ نجم الدين بن إسرائيل

إن غفارية الفرنسيس جاءت • فرأتنا لسيد الأمراء •
كبياض القرطاس لونا ولكن • صبغتها سيوفنا بالدماء •

وتسلم المسلمون دمياط ورفع العلم السلطاني على سورها وأعلن فيها كلمة التوحيد والإسلام وشهادة الحق بعد أن أقامت في يد الفرنج أحد عشر شهرا وتسعة أيام وأفرج عن الفرنسيس وأخيه وزوجته ومن بقي معهم وتوجهوا إلى بلادهم وفي ذلك يقول جمال الدين بن مطروح شعر

• قل للفرنسيس إذا جئته • مقال صدق من وزير نصيح •
• أتيت مصر تبتغي ملكها • تحسب أن الزمر يا طبل ريح •
• فساقك الحين إلى أدهم • ضاق به عن ناظريك الفسيح •
• وكل أصحابك أودعتهم • بسوء تدبيرك بطن الضريح •

خمسون

١٧٤

• خمسون ألفا لا يرى منهم • إلا قتيل أو أسير أو جريح •
• وفقك الله لأمثالها • لعل عيسى منكم يستريح •
• إن كان باباكم بذا راضيا • فرب غش قد أتى من نصيح •
• فقل لهم إن أضمروا عودة • لأخذ ثار أو لقصد صحيح •
• دار ابن لقمان على عهدها • والقيد باق والطواشي صبيح •

فقدر الله تعالى أن الفرنسيس بعد خلاصه من هذه الواقعة جمع جموعا وقصد تونس وأخذ بحصارها فقال له شاب من أهل تونس يقال له أحمد بن إسماعيل الزيات شعر

• يا فرنسيس هذه أخت مصر • فتأهب لما إليه تصير •
• لك فيها دار ابن لقمان قبر • وطواشيك منكر ونكير •

وكان هذا فألا حسنا فهلك الفرنسيس على حصاره تونس وكفى الله المؤمنين القتال وكانت مدة الصالح في ملك مصر عشر سنين وعشرة أشهر وتوفي بالمنصورة وحمل إلى القاهرة كما تقدم ودفن بقبة بنيت له بجوار المدرستين وأن الملك الصالح هو الذي بنى قلعة الروضة وأقام بها جندا وسماهم المماليك البحرية ومن مماليكه الفارس أقطاي وبنى قنطرة بالسد والمدرسة التي بين القصرين التي هي محكمة الآن والله سبحانه وتعالى أعلم

ثم تولى الملك المعظم توران شاه ابن الملك الصالح

ووصل إلى المنصورة في سابع عشر القعدة سنة سبع وأربعين وستمائة وقتل بعد شهرين في محرم سنة ثمان وأربعين وستمائة والسبب

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)